صدر عن (المدى):

(أفواه الزمن) لإدواردو غاليانو: نصوص تنطوي على الحكمة والذكاء والتأمل

ابراهيم حاج عبدي
دمشق

ثمة نصوص لا يمكن المجازفة بتصنيفها ضمن إطار أدبي محدد، فهي لا تنتمي إلى الأجناس الأدبية التقليدية المعروفة كالرواية أو القصة القصيرة أو القصيدة، بل هي كتابات حرة تلتقط بذكاء ما يدور حولنا من أحداث ووقائع وتفاصيل يومية مملة، وتعيد تلوينها بصياغات تنطوي على الحكمة والتأمل...وهو ما يفعله إدواردو غاليانو في كتابه "أفواه الزمن" الصادر أخيرا بترجمة صالح علماني عن دار المدى (دمشق. ٢٠٠٧).

في هذه النصوص يسعى غاليانو إلى التحرر من القيود والضوابط والمعايير التي تفرضها الأجناس الأدبية، فهذه النصوص غير المصنفة. إذا جاز التعبير. تحلق في فضاء الكتابة دونما ضوابط، غير أن هذا التمرد على المعايير الأدبية لا يفقد النصوص حيويتها، وظرافتها، وطزاجتها...فغاليانو . المولود في الاورغواي، أحدى بلدان أمريكا اللاتينية التي أدهشت العالم بكتابات ساحرة سطرها أدباء كبار مثل غابرييل غارسيا ماركيز، وبورخس، وماريو بارغاس يوسا، وجورجي امادو، وايزابيل الليندي، وألفارو موتيس وسواهم. يصغي بعمق إلى صوته الداخلي، ويستحث الذاكرة المثقلة بثمار التجربة الحياتية الواسعة، محاولا تدوين عصارة التجارب والخبرات عبر نصوص نثرية لا تفتقر إلى المضامين العميقة كما أنها لا تخلو من اللغة الأقرب إلى لغة الأنواع الأدبية المعروفة.

إن هذه النصوص، المتحررة من القيود، هي أشبه ببوح للأسرار الكامنة في أعماق النفس، واحتفاء بالأفكار والآراء التي استخلصها الكاتب خلال تجربته في الحياة المنسوجة مما قرأ وسمع وشاهد، ورغم أن النصوص لا تمتلك سوية فنية واحدة غير أنها تشترك في القدرة على إثارة الدهشة والإعجاب لدى القارئ. يحوي الكتاب عشرات النصوص الصغيرة الحجم، المكونة من عدة اسطر تعبر بصورة ذكية ولماحة وخاطفة عن قضايا ومسائل مهمة ومعقدة بتبسيط وسلاسة وفق فهمه الخاص لها.

يحاول غاليانو أن يستخلص عبرة أو أمثولة من النصوص التي يدرجها في كتابه، وهو يضفي على حكاياته القصيرة بعدا ذاتيا وجدانيا، متجنبا الطريقة المدرسية الفجة في التلقين والإملاء، فهو يسرد ما يجول في ذهنه عبر حكاية صغيرة أو حدث ويدون مشاهداته إزاء قضايا مختلفة يختارها بعناية ليترك للقارئ مهمة استنتاج الهدف المطلوب واستخلاص العبرة المتوخاة من النص، وهو يتناول قضايا إشكالية تتباين وجهات النظر بشأنها لكنه لا يدخل سجالا بل يكتفي بطرح موضوعه من وجهة نظر ذاتية مفعمة بالتعاطف الإنساني وبالإحساس العميق بمعاناة الضعفاء والبسطاء في هذا العالم، يكتب، على سبيل المثال، تحت عنوان (إعلام العولمة): "بعد شهور من سقوط البرجين، قصفت إسرائيل جنين. مخيم اللاجئين الفلسطينيين هذا تحول إلى حفرة هائلة، ممتلئة بموتى تحت الأنقاض. حفرة جنين لها حجم حفرة برجي نيويورك نفسه. ولكن، كم من الناس رأوها، غير أولئك المتبقين على قيد الحياة الذين يقلبون الأنقاض بحثا عن ذويهم؟".

ومن فلسطين إلى العراق نرى غاليانو يتعاطف مع الشعب العراقي الذي خرج من سجن الديكتاتورية ليدخل سجن الإرهاب والتكفير، فنقرأ له تحت عنوان (الإعلام الموضوعي): "العراق كان خطرا على الإنسانية. بسبب صدام حسين سقط البرجان، ويمكن لهذا الطاغية أن يلقي، في أي لحظة، قنبلة ذرية عند زاوية بيتك. هذا ما قالوه. وبعد ذلك عُرف الأمر. تبين أن أسلحة التدمير الشامل الوحيدة هي الخطابات التي اخترعت وجودها. كذبت هذه الخطابات، وكذب التلفزيون، وكذبت الصحف والإذاعات. ولم تكذب، بالمقابل، القنابل الذكية التي بدت بالغة الغباء. لقد مزقت مدنيين عزلا، تطايروا أشلاء في الحقول وفي شوارع البلد المغزو، وقالت القنابل الذاكية الحقيقة عن هذه الحرب".

يتحدث غاليانو عن مفهوم الفن والإرهاب والبيروقراطية، وينتقد الأنظمة السياسية المستبدة، ويكتب عن الزمن، والذكريات، والحرية والصداقة والحنين والإعلام، والموسيقى، والمباريات الرياضية، والأوطان والمدن والأمكنة واللاهوت والخوف والنسيان والاستلاب والصمت والمنفى وكل ما يشكل تفاصيل الحياة ماديا وروحيا، كما انه يبرز مقتطفات ومفارقات من حياة الشعراء والكتاب والمسرحيين والفنانين المعروفين عالميا، ويمكن اعتبار بعض نصوص الكتاب شهادة على ملامح وأبعاد المشهد الثقافي والسياسي والاجتماعي في أمريكا اللاتينية بصورة خاصة وفي العالم عموما. يكتب تحت عنوان (البحر) : "كان رافائيل ألبرتي قد أمضى قرابة القرن في العالم، ولكنه كان يتأمل خليج قادش كما لو انه يراه أول مرة. من الشرفة، وهو مستلق تحت الشمس، كان يتابع دون تعجل النوارس والمراكب الشراعية، والنسيم الأزرق، وذهاب الزبد ومجيئه في الماء والهواء. والتفت إلى ماركوس آنا، الصامت بجانبه، وقال له وهو يشد على ذراعه، كما لو انه لم يعرف ذلك قط، كما لو انه يعلم الأمر للتو: كم هي قصيرة الحياة".

وهو إذ يعمل على توضيح كل هذه المفاهيم والقضايا فانه يحاول الوصول إلى الهدف ببلاغة وإيجاز دون تنميق أو مواربة أو إسهاب، بل باللمحة الخاطفة والذكية فتحت عنوان (ثقل الزمن) يكتب هذا النص: "قبل أربعة قرون ونصف قرن، جرى إحراق ميشيل سيرفت حيا، على حطب أخضر في جنيف. كان قد وصل إلى هناك هاربا من محاكم التفتيش. ولكن كلفينو أرسله إلى المحرقة. كان سيرفت يرى انه يجب عدم تعميد أحد قبل بلوغه سن الرشد، وكانت لديه شكوكه حول الثالوث المقدس، وكان عنيدا إلى حد إصراره على التعليم، في دروسه الطبية، بأن الدم يمر من القلب ويتنقى في الرئتين. هرطقاته أودت به إلى حياة تشرد غجرية. فقبل القبض عليه، بدّل كثيرا من البلدان، والبيوت، والمهن، والأسماء. احترق سيرفت، في تعذيب بطيء، ومعه الكتب التي ألفها. وعلى غلاف واحد من تلك الكتب، هناك رسم يمثل شمشون، يحمل على كاهله بوابة ثقيلة جدا. وتحتها كتابة تقول: أحمل حريتي معي".

تتداخل في نصوص غاليانو المفارقات والرموز والأحلام والتعليقات السياسية والفنتازيا والتاريخ والسيرة الذاتية مع الحس التهكمي الساخر والخيال الخصب لتشكل في مجملها موزاييك أو فسيفساء ملونة نجح غاليانو في توفير مادتها الملائمة والمتنوعة من تجاربه في الحياة، ففي بعض النصوص ثمة سخرية مرة وفي بعضها الآخر رومانسية وغنائية عذبة، وفي نصوص أخرى خيال جامح، وثمة نصوص تلامس تلك المشاعر الإنسانية الرقيقة التي يحملها بسطاء هذا العالم في صدورهم مع نقد مضمر للحياة المعاصرة الغارقة في تكنولوجيا الاتصال حيث تتلاشى حرارة المشاعر.

وينتقد غاليانو في هذا الكتاب الكثير من الممارسات السياسية في العصر الراهن فهو يدين الاستلاب السياسي والفكري وثقافة الخوف والإرهاب وحضارة الاستهلاك ولعله في ذلك لا يبتعد عن قناعاته ومبادئه السياسية التي يؤمن بها، إذ يلعب الكاتب دورا مهما في الحياة السياسية والفكرية في بلاده الاورغواي، فهو نموذج لكاتب يوائم بين القول والممارسة وله مواقف معروفة تدين الحروب والديكتاتوريات العسكرية ومظاهر القمع منطلقا في كل ذلك من سعيه الدائم إلى الاحتفاء بالحياة الجميلة ونبذ كل ما من شأنه الإساءة إلى الكرامة الإنسانية.

حيدر الكعبي: (أتلانتا رفيو) تُصدر ملفاً خاصّاً بالشعر العراقي

الشعراء العراقيون يغزون أمريكا

حوار: هاشم تايه

قبل مدّة ليست ببعيدة اتصل بي الصديق الشاعر حيدر الكعبي المقيم حالياً في الولايات المتحدة الأمريكية بعد اضطراره إلى مغادرة العراق عقب انتفاضة عام ١٩٩١، وأخبرني بأنّ مجلّة مرموقة، تعنى بالشعر وشؤونه وتصدر في كبرى مدن ولاية جورجيا الأمريكية، قد استجابت لفكرته تكريس أحد أعدادها لنصوص منتخبة من الشعر العراقي الحديث اختار هو بعض نماذجها وقام بترجمتها إلى الإنجليزيّة. وعاد حيدر ليضيف، قبل أيّام، أنّ عدد هذه المجلة الصادر في أواخر شباط الماضي، قد خرج إلى النور مزداناً بملف خاص بعدد من الشعراء العراقيين. وعلى الفور أرسلت إليه عدداً من الأسئلة التي تحفزّه على إضاءة تفاصيل إعداد هذا الملف، وكيف انبثقت فكرته، وكيف جرى استقباله بعد صدوره في (اتلانتا رفيو) المجلة المحتفية به. وهذه أسئلتي التي فضّل حيدر الإجابة عنها بدفق متصل تحرّر فيه من ضغوطي، وحسناً فعل:

" في أواخر شباط الماضي صدر العدد الخاص بالشعرالعراقي الحديث من مجلة (أتلانتا رفيو)، وهي مجلة شعرية نصف سنوية تصدر في أتلانتا، كبرى مدن ولاية جورجيا الأمريكية. و(أتلانتا رفيو) من المجلات الشعرية المعروفة في أمريكا والعالم، رغم أن عمرها لم يتجاوز الإثنتي عشرة سنة. وقد نشر فيها شعراء مرموقون بعضهم من الفائزين بنوبل مثل (سِيمَس هِيني) و (دِرِك والكوت) وبعضهم من الحائزين على البوليتزر كـ (ماكسن كيومن) و (ستِيفن دِن) وغيرهم من شعراء أمريكا البارزين كـ (بِلي كولنز) الذي يعد أحد أهم شعراء أمريكا الأحياء. (أتلانتا رفيو) توزع في أكثر من مئة وعشرين بلداً وقد حازت مرتين على جائزة الـ (بُشكارت). ولهذا فإن تكريسها عدداً للشعر العراقي في هذه اللحظة الملتهبة من تاريخ العراق يشكل غزواً حقيقياً وصادماً للوسط الثقافي الأمريكي.

ففي معرض الكتاب الذي سأفصل الحديث عنه لاحقاً، كانت مشاعر الحاضرين تتغير حالما نخبرهم بأن شعر الملف ليس (عن) العراق، بل هو مكتوب ومترجم ومحرر بأقلام عراقية. فكنت تسمع هتافات مثل: "أحقاً؟" "مستحيل" "يا إلهي" "طبعاً "سأشتريه حتماً."

فمجموعة القصائد هذه هي الأولى من نوعها منذ الإحتلال. ومع أن (أتلانتا رفيو) دأبت على تكريس أحد عدديها السنويين للشعر المترجم، فهذه هي المرة الأولى التى تصدر فيها عدداً خاصاً بقصائد منقولة عن العربية. و(أتلانتا رفيو) تصدر عن مؤسسة (شعر أتلانتا)، وهي مؤسسة غير ربحية في ولاية جورجيا. ويدعم المجلة مالياً بعض المتبرعين والأصدقاء وبعض التجمعات الشعرية كـ (حلقة والت وتمان)، (حلقة روبرت فروست)، و(حلقة إميلي دكنسن)، بالإضافة الى المشتركين. ويشرف على تحريرها وتوزيعها الشاعر والموسيقي الأمريكي (دان فيج) صاحب مجموعة (عظم فخذي الطويل).

أما قصة صدور هذا العدد فقد أوجزتها في مقدمتي له وأعيد سردها هنا كالآتي: ففي تموز من عام ٢٠٠٦، أرسل لي صديقي الشاعر والمترجم سهيل نجم من بغداد مخطوطة أنثولوجيا للشعر العراقي لشعراء السبعينيات وما بعدها. وقد تم جمع القصائد وترجمتها من قبل سهيل والدكتور صادق رحمة محمد، الأستاذ المساعد في جامعة المستنصرية. ضمت المخطوطة قصائد لحوالي ستة وخمسين شاعرا، القسم الأكبر منها قصائد نثر وما تبقى قصائد تفعيلة. ورغم تنوع الهواجس الشعرية واختلاف المناخات الفردية للشعراء، فقد تصدر الهم السياسي سائر الهموم. وزخرت المجموعة بقصائد تدور حول الحرب، والأستبداد، والمقابر الجماعية، والحصار، والعنف، والحرية، والمنافي، والموت. وكان الهم السياسي عاملاً مهماً -- بين عوامل أخرى طبعاً -- في اختيار القصائد التي دخلت ملف أتلانتا الشعري. وبالتالي فقد زادت نسبة القصائد السياسية في الملف عنها في المخطوطة. وقد كتب الدكتور صادق رحمة مقدمة يشرح فيها الظروف المعقدة التي كان هو وسهيل يعملان ضمنها، والعراقيل والمثبطات التي كادت تثنيهما عن المضي في العمل.

في بداية الأمر لم تكن لدي فكرة عما يمكن أن افعله بالمخطوطة. لكنني كنت قد ترجمت قصائد لبعض أصدقائي الراحلين إحياء لذكراهم، مثل آدم حاتم وعبد الحسن الشذر ومحمود البريكان. فلهؤلاء الأصدقاء وأمثالهم -- مع الإختلاف الكبير في مقترباتهم للشعر وفي حجم الإعتراف بمواهبهم-- مكانة خاصة في نفسي، لالأنهم حققوا منجزاً فنياً استثنائياً، بل لأنهم عاشوا الشعر في حياتهم اليومية، ودفعوا ضريبته غالياً. كان بودي أن أعرف القارئ الأمريكي بهم. أما مسألة إصدار مختارات من الشعر العراقي بالإنكليزية فلم تكن في ذهني، فموقعي هنا في الولايات المتحدة لا يسمح لي بهذا. إذ لا يصلني من المطبوعات العربية إلا النزر اليسير مما يبعثه بعض اصدقائي. وهكذا بدأت بترجمة قصيدة (تلك هي حياتي) لآدم حاتم، وبعثتها مع قصيدة لسهيل الى (أتلانتا رفيو) لتنشرا. وكنت قد نشرت في المجلة قصيدة من قبل. وفي رسالة جوابية سألني (دان فيج) محرر المجلة إن كان في إمكاني المشاركة في عدد خاص بالشعر العربي وما إذا كنت أعرف مترجمين عرباً جيدين، ذكرت له أسماء من اعرفهم، واعتذرت عن المشاركة في مشروع بهذا الشمول. لكنني، وقد خطرت ببالي مخطوطة صادق وسهيل، أبديت استعدادي للمشاركة بعدد يكرس للشعر العراقي حصراً. وأرسلت المخطوطة كما هي إليه مضيفاً اليها ما ترجمته للبريكان والشذر والآخرين. فتلقى دان الترجمات بحماس، ووافق على تخصيص الملف للشعر العراقي وحده.

لقد تركت لدان مسألة اختيار قصائد الملف مع أنني كنت أبدي رأيي بالاختيارات وكان دان يأخذ به أحياناً. كان بوسعي ألا أرسل إلا القصائد التي أختارها أنا، ولكنني آثرت أن أرسل المجموعة برمتها. وقد نجحت في إضافة بعض الشعراء الى القائمة الأولى التي اقترحتها المجلة وأخفقت في إضافة أسماء أخرى. كانت لي تحفظاتي أحيانا، وكان دان يرد عليها بأن المهم هو الإنطباع الذي ستتركه القصائد لدى القارئ الأمريكي، فهوالقارئ المستهدف أولاً. هذا القارئ الذي يعرفه دان أكثر مني تعنيه النسخة الإنكليزية من القصيدة لا أصلها العربي. كنا مضطرين آخر الأمر الى استبعاد قرابة ثلثي القصائد، لأننا لو أردنا نشر الأنثولوجيا بأكملها لاحتجنا الى ثلاثة أضعاف المساحة المخصصة للملف في المجلة. وقد شغل الملف سبعين صفحة من صفحات المجلة المائة واثنتين وعشرين. واحتوى على مقدمة لدان فيج واخرى لصادق رحمة وثالثة لي. أما الشعراء الذين ضمهم الملف فمجموعهم ثلاثون، بعضهم ترجمهم صادق رحمة وهم دنيا ميخائيل، عبد الرزاق الربيعي، حيدر الكعبي، هنادي النصار، هاشم شفيق، خليل الأسدي، منذر عبد الحر، عبد الخالق كيطان، كريم شغيدل، عبد الكريم كاصد، أديب كمال الدين، سعد جاسم، وعلي الإمارة. وبعضهم ترجمهم سهيل نجم وهم لطيف هلمت، عدنان الصائغ، عادل عبدالله، سلام دواي، ريم قيس كبة، أحمد الشيخ، رسمية محيبس زاير، رعد عبد القادر، علي عبد الأمير، وعلي البزاز. والباقون ترجمتهم أنا وهم محمود البريكان، آدم حاتم، عبد الحسن الشذر، صباح خطاب، جمال مصطفى، سهيل نجم، وطالب عبد العزيز.

ومع أن الشعر بشكل عام أكثر عرضة للخسارة في الترجمة من سائرالأجناس الأدبية، فالنصوص الشعرية ذاتها تتفاوت في درجة طواعيتها للمترجم. أي ان بعضها أقبلُ للترجمة من البعض الآخر. وبالتالي فاستبعاد بعض النصوص الشعرية من الترجمة لا يعني بالضرورة الحكم بعدم أهليتها، بل قد يعني ضمن ما يعنيه أن في ذهن المترجم حداً معقولاً للخسارة، لا يسمح لنفسه بتجاوزه، وأن الترجمة في تقديره قد لا تكون في صالح تلك النصوص.

كانت المجلة قد حددت منتصف شهر كانون الأول من عام ٢٠٠٦ موعداً نهائياً لغلق العدد، لكي يمكننا -- دان وأنا-- مراجعته معاً وتهيئته للطبع قبل نهاية العام المذكور. والهدف من هذا التحديد هو أن نضمن صدور العدد قبيل انعقاد مؤتمر اتحاد الكتّاب وبرامج الكتابة، وهو أكبر تظاهرة ثقافية سنوية في الولايات المتحدة، لتتاح لنا فرصة توزيع العدد في معرض الكتاب المرافق للمؤتمر، والذي انعقد هذا العام في أتلانتا، حيث تصدر المجلة. وبدا للوهلة الأولى أننا كنا في سعة من الوقت. لكن المجلة طالبتني بالأصول العربية للنصوص المترجمة. ولم يكن لدي منها سوى الأعمال التي ترجمتها أنا. فطلبتها بدوري من سهيل. وطلبت أيضاً نبذة مختصرة عن حياة كل شاعر. وقد اضطررنا الى تمديد الموعد النهائي عشرة ايام بسبب ذلك

قبل أعياد الميلاد ببضعة أيام، زارني دان في ولايتي، ولاية تنيسي، لكي نراجع النصوص معاً، ولنتفق على الصيغة النهائية للملف. وبعد ثلاثة ايام من العمل المشترك، عاد دان الى أتلانتا مصطحباً المخطوطة شبه النهائية. وقد وعدته بأن أكتب مقدمة من صفحتين وأرسلها قبل نهاية العام. وحال وصوله، أرسل لي نسخة من الملف لأدققها للمرة الأخيرة، ففعلت وأعدتها إليه مع مقترحاتي. وأخيراً، جاءتني رسالة منه تقول إن المجلة قد ذهبت الى المطبعة وأن لم يعد لدينا ما نفعله سوى الانتظار.

كانت أتلانتا رفيو قد دعتني الى حضور مؤتمراتحاد الكتّاب، آنف الذكر، الذي عقد في مطلع آذار من هذا العام واستمر حتى الثالث منه. و قبل الموعد بأسبوع أو نحوه أخبرني دان في مكالمة تلفونية أن العدد قد صدر. وجدد دعوتي لحضور المؤتمر. فطرت الى جورجيا صباح الثاني من آذار. وهكذا حضرت المؤتمر في يومه الثاني. وما إن وصلت الى فندق هلتون في مركزمدينة أتلانتا، حيث عقد المؤتمر، حتى ذهبت مباشرة الى معرض الكتاب لألمس الكيفية التي استقبل بها المثقفون الأمريكان مطبوعنا. فنزلت الى الطابق تحت الأرضي، ودخلت في متاهة من الكتب والمجلات والأضواء والهرج والمرج الثقافي، وأنا أجر حقيبتي، محاولاً شق طريقي بين الحشد، وباحثاً عن كشك (أتلانتا رفيو) دون جدوى. كنت أحمل تلفوناً، وكان دان قد أخبرني أنه هو الآخر يحمل تلفوناً استعاره حديثاً وأعطاني رقمه. ولكنه لم يرد على مكالماتي، وكنت قد تركت في (مجيبته) أكثر من رسالة صوتية. قال لي فيما بعد إن التلفون لم يكن يرن، وإنه لم يعتد على استعماله بعد. وصادفته يتجول في القاعة فذهبنا الى كشكه.

لدى كشك أتلانتا رفيو وجدنا الشاعر (كولن كيلي) صاحب مجموعة (بطيء الإحتراق) يعرض مجموعته جنباً لجنب مع أتلانتا رفيو، وخلفه على الجدار لافتة كبيرة كتب عليها (أتلانتا رفيو، عدد العراق). فأخذ كل منا -- دان وأنا-- نسخة من العدد ورحنا نتجول في المعرض بحثاً عن ناشر لمختارات من الشعر العراقي في كتاب. وقد أبدت بعض دور النشر استعدادها المبدئي. ووعد أكثر من أستاذ للأدب وللكتابة الإبداعية بإدخال مواد الملف ضمن مناهجهم التدريسية. وأجرت الشاعرة سوزان بريनان، ممثلة (راديو الشعرية)، مقابلة إذاعيّة معي، سألتني فيها عن المصاعب التي واجهناها وأصدقاءنا في بغداد في إنجاز الملف، وطلبت مني أن أقرأ لها بالعربية نص قصيدتي المنشورة في العدد. ولا يخالجني أدنى شك في ان العدد فاق في مبيعاته كل مطبوع آخر في المعرض. وكان الأكثر مبيعاً بين اعداد أتلانتا رفيو منذ تأسيسها قبل اثنتي عشرة سنة، حسب شهادة دان. وقد التقطتُ صورة لعدد الصناديق التي بيعت منه. وطلب العديد ممن اشتروه أن أوقّع لهم نسخهم، فيما كان جيراننا من عارضي الكتب والمطبوعات الأخرى يتفرجون على نجاحنا بصمت.

معارض

في المعرض الثالث عشر للكتاب "المغاربي" في باريس:

تكريم الابداع الجزائري، وحضور متواضع للكتاب العربي

جليل العطية
باريس

شهدت باريس مؤخراً تظاهرة ثقافية –فكرية- اجتماعية استأثرت باهتمام فرنسي ملحوظ رغم انشغال الشارع الفرنسي بسباق الانتخابات الرئاسية الجديدة، والتي لم يبق على اطلاقها سوى اسابيع قليلة يحزم بعدها الرئيس الحالي (جاك شيراك) حقائبه ليترك الاليزيه لغيره من المرشحين او ربما من المرشحات!

"شيراك" الذي يحمل ارث ديغول (باني مجد فرنسا في القرن العشرين) والذي اطلقت عليه بعض الصحف الهزلية الثانوية لقب: الملك لكونه حكم فرنسا لفترتين "لن يتقاعد" سياسياً تماماً بل سيظل يخدم امته بكل الوسائل المتاحة حتى آخر يوم من حياته.

-التظاهرة المغاربية- الفرنسية ضمت عدة كتب، شديدة الاهمية تعرض للفترة الشيراكية وتجربتها السياسية وتجربة خريجي المدرسة الشيراكية (ويقف على رأس هؤلاء (نيقولا ساركوزي) وزير الداخلية الحالي) واحد ابرز مرشحي اليمين الحاكم للانتخابات الرئاسية ومن بين هذه الكتب كتاب (بيير بيان) – الصحفي الفرنسي- المعروف و(الصادر عن دار (فايار) ويشتمل الكتاب على طائفة من المقابلات تغطي (حقبة من تاريخ فرنسا المعاصر بدءاً من الحرب العالمية الثانية وما ارتكب خلالها من فظائع "النازية" وسواها وانتهاء بموقفه المعارض لحرب الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها على العراق، ومن الكتب اللافتة: (شيراك العربي) لايريك اشيمان تناول حكاية صداقته للزعيم اللبناني المرحوم رفيق الحريري والعلاقات الفرنسية –السورية- وقضية الرهائن وثالث لكرستوف بولتانسكي: يتناول العلاقات السياسية الفرنسية- الآسيوية (دار جريسيه) (٤٣٠ص) ويشتمل على حكايات عن الصداقة المتميزة بين فرنسا والعالم العربي وثنائي صدام-لوبين وبابل الجديدة، وطرائف عن (لوبي صدام في فرنسا) كما يتناول قضية الرهائن الفرنسيين في لبنان والعلاقات الفرنسية –الاسرائيلية- الفلسطينية، ولغز وفاة القائد الفلسطيني المرحوم (يا سر عرفات)

- احتضنت باريس على مدى يومين طويلين مؤخراً المعرض الثالث عشر للكتاب المغربي (او بالادق المغاربي) الذي اقيم في الطابق الثاني لمبنى بلدية الحي الثالث عشر، الكائنة في ساحة ايطاليا Place ditalie وسط اجراءات امنية مشددة اقتضتها الظروف الامنية الدقيقة.

تولت جمعية (ضربة الشمس) (Coup de soleit) بالتعاون مع بلديات باريس والدولة ووزارة الخارجية وسفارتها في الاقطار المعنية (المغرب، الجزائر، تونس) ووزارة الثقافة واجهزتها وبالتنسيق مع سفراء الاقطار المغاربية المعتمدين في باريس.

- الجزائر كانت ضيفة الشرف في هذا المعرض المتميز، الذي حظي بدعم الصحافة الفرنسية المكتوبة، وفي مقدمتها يومية (اللوموند) الشهيرة، واسبوعية (شباب افريقيا) ومثل الصحافة العربية رجال ومهاجرون، وقنطرة (يصدرها معهد العالم العربي) وغطى المعرض ودعمه راديو مونت كارلو وفضائية القناة الخامسة، ومن المغرب: يومية الاخبار، والوطن وراديو الوطن الجزائري وغيرها.

- ضم المعرض مئات الكتب التي الفها مبدعون ينحدرون من اصول مغاربية ومئات اخرى من كتب الفها كتاب فرنسيون تتناول العلاقات – الفرنسية- المغربية- العربية والاسلام والعالم الاسلامي وأُقيمت على هامش المعرض فعاليات ثقافية –فكرية وطاولات مستديرة وسجالات تناقلتها وسائل الاعلام الفرنسية والعربية، واخرى فنية اشتملت على لوحات ورسوم كاريكاتيرية لفنانين جزائريين ومغاربة ومن تونس، اضافة الى اعمال ابناء المهاجرين- من ابناء الجيل الثالث.. الخ.

-قمنا بجولة سريعة في ارجاء المعرض فلفتت انظارنا طاولات ١٣٤ مؤلفاً كانوا يوقعون نتاجاتهم الأبداعية للقراء، ويتبادلون الحوار وسط جو ديمقراطي هادئ وهذا يعكس وعي المثقفين المغاربة من (الفرانكوفونيين) باهمية كتبهم المكتوبة بلغة (موليير) و(هيغو) والتي تعكس افكارهم وتجاربهم، التي يتداولها قراء يجيدون الفرنسية، تتخطى التراب الفرنسي الى كل الامم والشعوب التي تجيد او تحسن اللغة الفرنسية.

ومن المثير للاهتمام الحضور القوي للمرأة المغاربية، التي كانت تعرض نتاجاتها، وتناقش وترد على اسئلة الزوار حول حقوق المراة والانسان والمشكلات الاجتماعية وما تتعرض له -بعض النساء من امور كانت محور عدة كتب استأثرت بعناية الزوار الذين كانوا من فئات عمرية مختلفة لكن نسبة الشباب الزوار كانت كثيفة وجذبتنا مجموعة من الكتب الفنية التي اشتملت على اشعار اندلسية واخرى لشعراء المتصوفة البارزين كابن عربي والحلاج وسواهما ولوحات مستوحاة من (نبي جبران خليل جبران) واثناء جولتنا احصينا ستة كتب تتناول قضية الارهاب والارهابيين وما لا يقل عن ١٥ البوماً (البة) كما سماه الاب انستاس ماري الكرملي، هذه الرسوم الكاريكاتيرية الساخرة تتناول قضايا تستقطب اهتمام الشارع الفرنسي كالحجاب ومشكلات المهاجرين والعنصرية وغير ذلك.

كانت نسبة الكتب المكتوبة بالفرنسية تقدر بنحو ٨٠ في المائة، اما الكتب العربية فكانت بالنسبة المتبقية (أي ٢٠ في المائة) احتل اغلبها الجناح التونسي الذي ضم مجموعة متميزة من منشورات المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون "بيت الحكمة" التابع لوزارة الثقافة والمحافظة على التراث وسمحت لنا المشرفة على الجناح السيدة نجاة ميلاد (وهي أيضاً تدير مكتبة ابن رشد للنشر والتوزيع) الاطلاع على طائفة من هذه المنشورات التي تخص الاداب والعلوم بينها مجموعة دراسات رصينة تخص (طه حسين) واخرى تتناول عصر النهضة والادب التونسي ومعالم الحضارة في القيروان وسواها من المواقع الاثرية ولا بأس ان نتوقف عند هذا الجناح:

(بيت الحكمة) أُسس عام ١٩٩٢ من اهدافه: جمع اعلام الثقافة البارزين وتمكينهم من مواصلة تطوير البحث في مختلف مجالات النشاط الفكري وتأليف المعاجم والموسوعات وتنظيم ندوات ومحاضرات وملتقيات علمية (خاصة ملتقيات قرطاج الدولية) يصدر بيت الحكمة عدة سلاسل بينها الترجمة، تحقيق النصوص، البحوث والدراسات، فهارس ومراجع، سلسلة المكتبة الثقافية المغاربية.

اخترنا التنويه بطائفة من هذه الاعمال الابداعية او المحققة او المترجمة:

في ميدان التحقيق: المعلم بفوائد مُسلم للامام المازري تحقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر (ثلاثة اجزاء).

الغريب المصنّف لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي تحقيق محمد مختار العبيدي (ثلاثة اجزاء) (حققه ايضاً د.رمضان عبد التواب وصدر الجزء الاول (فقط) في القاهرة، (ولم تكمل الاجزاء الاخرى).

- وفي مجال التاليف

- الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية ١٨٩٢-١٩٤٠ لاحمد بن ميلاد ومحمد مسعود ادريس

- بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاجة لاحمد الفرجاني

-اشكاليات تأصيل المسرح العربي لمحمد المديوني

- تشريح الدماغ عند "ابن سينا" تعريب بن رجب المرينسي

- اسباب حدوث الحروف (عربي- فرنسي) لأبن سينا ترجمة نبيل رضوان.

وفي مجال الفهارس والمراجع معجم الجغرافيا (عمل جماعي) ببلوغرافية مدينة القدس الشريف اعداد: رشا الامام (اربعة اجزاء)

-معجم المصطلحات القانونية (فرنسي/ عربي)- اعداد مجموعة من الاساتذة الجامعيين.

- ومن سلسلة المكتبة الثقافية المغاربية: مختارات من الرواية المغاربية المعاصرة- اعداد بوشوشة بن جمعة (جزءان)، دائرة المعارف التونسية (خمسة كراسات)

ومن سلسلة منبر بيت الحكمة، مساهمة ايران في الثقافة الاسلامية بين الماضي والحاضر لعطاء الله مهاجراني.

- في مسببات الشعر وشروحه لصلاح ستيتية (الشاعر اللبناني البارز) وفي سلسلة الندوات: دراسات في التسامح (بالعربية والفرنسية)

- اعداد ناجي البكوش ومحمد الطالبي وعبد الفتاح عمر، الواقع الديني اليوم (عربي- فرنسي) النهضة وتفاعلاتها في العالم العربي واليابان لمسعود الضاهر، علي المحجوبي، فتحي القاسمي- كيف يكتب التاريخ اليوم (عربي- فرنسي) (عمل جماعي).

واشتمل الجناح الجزائري على كمية ضئيلة من الكتب العربية شد انتباهنا فيه كتاب (الصحف العربية- الجزائرية من ١٨٤٧ الى ١٩٥٤ تأليف محمد صالح ناصر- الباحث المعروف

ومن الكتب المؤلفة بالفرنسية: مسلمو اوروبا مسيحيو الشرق للكاتب اللبناني البارز: جاك ديب- الصادر عن دار: LECLAT

وعوداً الى البدء فاقول

(ضربة الشمس) Coup de soleil جمعية فرانكو- مغاربية هدفها استقطاب افراد الجالية المغاربية واصدقائهم، تأسست سنة ١٩٨٥- بعد نقاشات وحوارات طويلة دارت بين مجموعة من التنظيمات المغاربية الاصول من ابناء اكثر من جيل يقيمون داخل فرنسا، ويعاني الكثير منهم مشكلات اجتماعية وثقافية، خاصة بعد تصاعد الهستيريا العنصرية لليمين الفرنسي المتطرف الذي يجسده (لوبين) زعيم (الجبهة الوطنية) فاتفق المجتمعون والمجتمعات الذين يمثلون شرائح مختلفة الاديان والقوميات والاثنيات على انشاء (ضربة الشمس)..

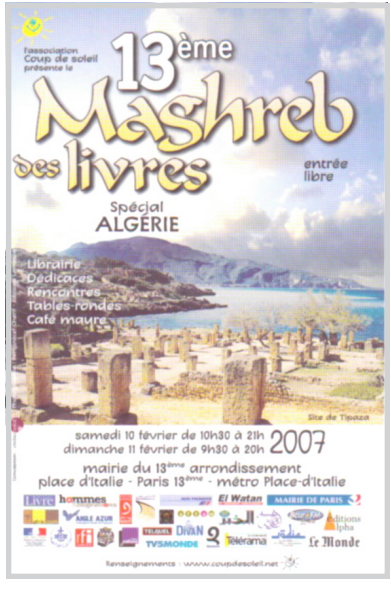

في خريف ١٩٩٤ انطلق المعرض الاول للكتاب (المغاربي)، وشهد تظاهرة المعرض الاول ستة الاف وثلاثمائة زائر تضاعف بعد ذلك سنوياً، وخلال هذه الحقبة قدمت الجمعية، فعاليات سينمائية وانشطة مختلفة قوبلت باهتمام شديد.

حملت اوراقي وما حملته من مطبوعات وهبطت الى مدخل مبني بلدية الحي الثالث عشر لافاجأ بحشد من الناس يتحلقون حول زوجين شابين اسمرين (لعلهما ينحدران من احدى الجزر الفرنسية) ادركت فوراً انهما عقدا مراسيم زفافهما في بلدية الحي كانا يبتسمان لفرح العمر، وسط تصفيق الاهل والاصدقاء بينما كانت الكاميرات تسجل هذه اللحظات السعيدة اذهلتني المفاجأة فطلبت من احد افراد الشرطة المهذبين ان يرشدني الى مدخل (المترو) القطار الارضي في ساحة ايطاليا الواسعة جداً، فلم يقصر، فأسرعت ليبتلعني نفق القطار الارضي الى حيث أُريد.